ARABE

Commenter en arabe le texte suivant et traduire de « ما تعوّد البعض أن يدعوه... » jusqu'à « ... نحن نعني ـ الرواية التمثيليّة. ».

حنق البعض على الغرب لاعتقادهم بأن المدنيّة الغربية نفثت في حياتنا الجميلة الطّاهرة، الرّاتعة بأمن تحت أجنحة الملائكة والقديسين، روح فسق وخلاعة وكفر. وتغنى الآخرون بعظمة الغرب فصاحوا بنا: هيا نعبد الغرب وكلّ ما خلقه الغرب!

أمّا نحن فنرى الأفضل أن نقف على الحياد بين أولئك وهؤلاء، تاركين لهم حق تسوية خلافهم بالمدى والفؤوس إذا أرادوا، بشرط أن لا يعارضونا إذا تجاسرنا أن نعترف ولو بفضل واحد للغرب ـ وهو فضل آدابه على آدابنا.

ما تعوّد البعض أن يدعوه "نهضة أدبيّة" عندنا ليس سوى نفحة هبّت على بعض شعرائنا وكتابنا من حدائق الآداب الغربيّة، فدبّت في مخيلاتهم وقرائحهم كما تدب العافية في أعضاء المريض بعد إبلاله من سقم طويل. والمرض الذي ألمّ بلغتنا أجيالا متوالية كان شللا أوقف فيها حركة الحياة وجعلها، بعد عزّها السابق، جيفة تتغذّى بها أقلام الزعانف المستعبدين وقرائح "النظامين" والمقلّدين. أمّا اليوم فقد رجعنا إلى الغرب الذي كان بالأمس تلميذنا، لنقتبس عنه أمثولة جعلناها حجر زاوية "نهضتنا الأدبية". وتلك الأمثولة هي أن الحياة والأدب توأمان لا ينفصلان، وأن الأدب يتوكّأ على الحياة، والحياة على الأدب، وأنّه ـ وأعني الأدب ـ واسع كالحياة، عميق كأسرارها، ينعكس فيها وتنعكس فيه. أدركنا ـ بفضل الغرب ـ أن نظم الشعر ممكن في غير الغزل والنسيب، والمدح والهجاء، والوصف والرثاء، والفخر والحماسة. لذلك أطربتنا نغمة بعض شعرائنا الحديثين الذين تجاسروا أن يتعدّوا هذه الحدود المقدّسة. وانتقلت إلينا ـ بفضل الغرب كذلك ـ الرواية، أو ما يدعونه بالأنكليزية (نوفل) وبالفرنسية (رومان). وكنّا أسبق الناس إليها. فوجدنا فيها مجالا واسعا لوصف الحياة والتأثير على العقول والقلوب بواسطة القلم، وأدركنا أن النثر لا ينحصر في صف الكلام المسجّع، والإكثار من الألفاظ الشاردة المدفونة في بطون المعاجم، وتحبير المقالات المملة في موضوعات مبتذلة. فقام بيننا بعض من جرّبوا أن يمثلوا حياتنا اليوم في روايات وطنية.

وهذه خطوة إلى الأمام.

لكن "نهضتنا الأدبية" لا تزال في القُمُط، وما نطقت به حتى اليوم ليس سوى لثغ طفل لا يزال مقيّد اللسان، محدود العواطف، ضعيف العضل. وقد لا يحقّ لنا أن نلومها على هذا الضعف. لكننا لا نكتم أنّ رجاءنا بمستقبلها يضعف عندما نراها قد أهملت بابا كبيرا من أبواب الأدب لو خُيّر الغرب بينه وبين بقيّة الأساليب الكتابيّة لاختاره دونها. نحن نعني ـ الرواية التمثيليّة.

الرواية التمثيليّة رافقت الآداب الغربيّة منذ نشأتها حتى هذه الساعة فأصبحت ركنا من أركانها. وأقام لها الغربي المعاهد التمثيليّة (التياترو) فأصبحت هذه جزءا من حياته اليوميّة كالمدرسة والبيت والكنيسة. في التياترو تجد نفسه الجائعة المثقلة بأتعاب العمل وهموم الحياة راحة وتعزية وقوتا [...].

فماذا فعلنا نحن؟

نحن لا نزال ننظر إلى الممثّل نظرنا إلى "بهلوان"، وإلى الممثّلة كعاهر، وإلى التياترو كمقصف، وإلى التمثيل كنوع من القصف واللهو. شعبنا لم يدرك بعد أهمّية فنّ التمثيل في الحياة، لأنّه لم ير بعد روايات تمثّل أمامه مشاهد من حياة يعرف ألفها وياءها ـ لم يرَ بعدُ نفسه على المسرح. واللوم عائد على كتّابنا لا على الشعب. فجلّ ما قدّمناه حتى الآن إلى الشعب من الروايات التمثيليّة ينحصر في بعض روايات معرّبة أكثرها من سقط المتاع، وكلّها غريبة عنه، بعيدة عن أذواقه، قصيّة عن مداركه. أنا لا أشكّ في أنّنا سنرى عندنا، عاجلا أو آجلا، مسرحا وطنيّا تمثّل عليه مشاهد حياتنا القوميّة. وإنما يقتضي لذلك قبل كل شيء أن يحوّل كتّابنا أنظارهم إلى الحياة [...] وأن يجدوا فيها موادّ لأقلامهم ـ وهي غنيّة بالمواد لو دروا كيف يبحثون عنها.

ميخائيل نعيمة، *الغربال*، بيروت، نوفل، 1991 [1923]، ص: 29-33.

Tournez la page S.V.P.